الشواهد في الدرس اللغوي العربي
أهميتها أنواعها ووظيفتها

د. مليكة بن عطاءالله
جامعة قاصدي مرباح
– ورقلة– الجزائر

الملخّص:
تناولت هذه الورقة البحثية الشواهد في الدرس اللغوي العربي من حيث أهميتها، و أنواعها التي تعددت حسب اعتبارات مختلفة، كما تناولت وظيفة الشواهد التي تنوعت بين إفادة المتلقي، وإمتاعه، أو لإثبات وجود لفظة في لغة العرب، أو إظهار دلالتها. كما عرّجت الدراسة على الضوابط المختلفة التي وضعها علماء اللغة في استعمالهم للشواهد، ثم بينت لماذا كان الشاهد الشعري الأوفر حظاً في الاستعمال.
الكلمات المفتاحية: الشواهد، وظيفة الشواهد، أنواع الشواهد، المثال.

Résumé :
La présente recherche traite les témoins dans la leçon linguistique arabe du point de vue leurs importances, ses types qui se sont multipliés selon des considérations diverses. Comme elle traite aussi la fonction des témoins qui s'est diversifiée entre le profit du récepteur voir sa plaisance ou bien de prouver l'existence du mot dans la langue arabe et de montrer sa signification. En outre, l'étude a fait apparaitre les différents arguments posés par les savants de la langue afin d'utiliser les témoins, et a également montré pourquoi le témoin poétique était le plus utilisé.
Mots clés :
Les témoins, fonction des témoins, types des témoins, l'exemple.

مدخل:

الشواهد هي ذاكرة الأمة، تختزن مسيرتها على امتداد التاريخ، كما تعكس حمولة الشاهد المعرفية كل ما يتعلّق بالحياة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية للأمة، والشواهد هي ركائز أساسية وضع عليها علماء اللغة قواعدهم، سواء أكانت من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو من كلام العرب ، فالشاهد هو حجتهم في إثبات صحة القضايا أو خطئها.

وكان الرواة يحفظون الشواهد، فهذا "محمد بن القاسم الأنباري (ت271هـ) كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشعر شاهدة في القرآن، وكان يملي من حفظه لا من كتاب"[1]، وكان أبو مسحل الأعرابي قد "حضر من البادية إلى بغداد، وأخذ النحو و القرآن عن الكسائي، وروى عن علي بن المبارك أربعين ألف بيت شاهد على النحو"[2] ، وتدل هذه الروايات – رغم المبالغة – على اهتمام العلماء بالشواهد خاصة الشعرية منها.

وكانت الشواهد البلاغية قد "نالت اهتماماً مبكراً، فقد ألّف ابن أبي العون (–322هـ) كتاب ((التشبيهات)) عرض فيه لجملة من تشبيهات العرب في موضوعات مختلفة...و الكتاب ليس دراسة، وانَّما هو شواهد فيها تشبيهات اختارها من عدَّة شعراء اهتموا بالتشبيهات، ولا سيما شعراء العصر العباسي.

ووضع أبو عبد الله محمد بن الكتانيّ الطبيب (بعد سنة 400هـ) كتاب ((التشبيهات من أشعار أهل الأندلس)) ذكر فيه تشبيهات مختلفة أُخِذت صُورها من الطبيعة والحياة.

وألّف عليّ بن ظافر الأزديّ (– 623هـ) كتاب ((غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات)) وهو ككتاب الكتانيّ مختارات شعرية تتضمّن تشبيهات في كثير من الأغراض"[3].

واهتم المعاصرون بدراسة الشواهد؛ فقد ألّف الأستاذ عبد السلام محمد هارون ((معجم شواهد العربية))، وصنّف الدكتور علي القاسمي ((معجم الاستشهادات)) ضمنه شواهد مختلفة و رتّبه ترتيبا ألفبائيا، وضعه ليكون معينا للكتاب والشعراء، ووضع الدكتور أحمد مطلوب ((معجم شواهد البلاغة الشعرية)) رتّبه ترتيبا ألفبائيا، قدّمه ليكون "هدية للباحثين والدارسين، ولمن يريد التمتّع بالشعر."[4]

1 – الشاهد لغة واصطلاحا:

قال أبو هلال العسكري عن الشاهد: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يُتعاطى من أجناس صَنْعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن يأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته"[5]، و الواضح من كلام أبي هلال العسكري أنه يقصد الشاهد الشعري خصوصا المستعمل في البلاغة و النقد، أي الشاهد الذي يقصد به التعليلات و المبررات لغرض من الأغراض أو معنى من المعاني، وليس ذلك القائم على إثبات قواعد ونظريات.

ويلخِّص القاسمي المعاني اللغوية الكثيرة و المتنامية للشاهد التي تزخر بها المعاجم في قوله: "الشاهد في اللغة العربية، مشترك لفظي ذو معانٍ متعددة يهمنا منها في هذا المقام، معنيان، تناسل ثانيهما من أولهما بالاستعمال المجازي، وهما:

(أ) الشاهد: (عاقل، وجمعه الشهود والأشهاد والشهداء): الذي يُخبر القاضي ونحوه بما رأى أو علم.

(ب) الشاهد: (غير عاقل، وجمعه الشواهد): الدليل. وفي صناعة المعجم، يتألف هذا الدليل، عادةً، من جملة مُقتبسة من مختار النثر أو الشعر لتوضيح معنى اللفظ واستعماله؛ أو لدعم الرأي، أو القاعدة، أو نحوهما."[6]

والشاهد عبارة لها من" القدسية و التاريخية ما يجعلها محل قبول السامع و قد تكون من قرآن أو حديث أو من شعر أو الحكمة، والمثل أو القول المشهور، "ويسميها أرسطو الحجج الجاهزة أو غير صناعية... وتكسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها[7].

يستعمل علي القاسمي في كتابه علم اللغة وصناعة المعجم مصطلح (الشواهد التوضيحية) ويعرفها بقوله: هي" أية عبارة أو جملة أو بيت شعر أو مثل سائر، يقصد منه توضيح استعمال الكلمة التي نعرِّفها أو نترجمها في المعجم. ومصطلح (الشواهد التوضيحية) هو واحد من مصطلحات تستعمل لتدلّ على المفهوم ذاته، ومن هذه المصطلحات ((الأمثلة السياقية)) Contextual examples، ((الشواهد)) Quotation."[8] ويعتبر القاسمي أن "استعمال الشواهد التوضيحية أحد الخصائص الرئيسة في المعجم الجيد، إذ تقوم الشواهد بمهمة الأداة التعليمية في توضيح سلوك الكلمة نحوياً ودلاليًا وأسلوبيا في سياق حيّ."[9] من خلال هذا التعريف نفهم أن الشواهد التوضيحية هي مصطلح مرادف لمصطلح الشواهد، غير أن مجالها هو الصناعة المعجمية.

وقد عرفت المعجمية العربية الشواهد التوضيحية منذ أول عمل معجمي معجم ((العين))، أما المعجمية الإنجليزية فلم تعرف "الشواهد التوضيحية حتى عام 1755م عندما استعملها الدكتور جونسون في مصنّفه الشهير ((معجم اللغة الإنجليزية)). ويعدّ استعمال الشواهد التوضيحية مساهمة جونسون الرئيسة في تطوير صناعة المعجم الإنجليزي."[10]

ج – بين الشاهد و المثال:

الفرق بين الشاهد والمثال، هو أن المثال "شاهد بالنيابة، أي أنه يقوم مقامه، من حيث دلالته على الممثل له (المستشهد له في الأصل)، فوظيفته – في مستوى ثان غير التمثيل– هي الاستدلال والاحتجاج و البرهنة غير المباشرة لاعتبار نيابته عن الشاهد الحق أو الأصل."[11]

كما يكمن الفرق كذلك في أن الشواهد تنتمي إلى زمن الاحتجاج، بينما اقتصرت وظيفة المثال على زمن ما بعد الاحتجاج، والشاهد وضع في الأصل لغير نية الاستشهاد، بينما صنع المثال التوضيحي لغرض الاستشهاد.

2 – أنواع الشواهد:

تصنف الشواهد إلى أنواع عدة وذلك بالنظر إلى اعتبارات مختلفة:

ـ باعتبار مقياس الزمن: فإن الشواهد إما أن تكون جاهلية أو مخضرمة، أو إسلامية، أو مولدة، وهذا التقسيم محكوم بمعيار الزمن وما يتبعه من اعتبار الفصاحة والبداوة وغيرها.

ـ باعتبار سند رواية الشاهد: فإن الشاهد إما مجهول القائل، أو منسوب لقائله، أو منسوب لراوية كأن يكون من العلماء الرواة.

ـ باعتبار نوع الحقل المعرفي الذي يرد فيه(موضوعاتها): فالشاهد يأخذ صفته من الحقل الذي يستخدم فيه، فيكون الشاهد النحوي، والشاهد البلاغي، و الشاهد العروضي، والشاهد النقدي، والشاهد المعجمي، وهكذا، ومن أهم هذه الشواهد الشاهد المعجمي، ونعني به "ما جيء به من كلام العرب شاهدا لاسم أو لصيغة أو لمبنى تشتق من أصل لغوي، تتصرف له هذه المفردة العربية أو تلك، سواء أكان معنى أصلياُ أم مجازياً."[12]

ـ باعتبار المصدر الذي أُخذ منه: فإذا كان من القرآن الكريم يقال شاهد قرآني، وإذا كان مصدره الحديث الشريف كان شاهدا حديثيا أو نبويا، وهناك الشاهد الشعري، والشاهد النثري.

ـ باعتبار الوظائف: ويقصد بها الوظيفة التي يؤديها الشاهد، فيمكن اعتباره إما شاهد نفي، وإما شاهد إثبات والفيصل في تحديد هذه الوظيفة هو السياق، والشاهد هنا قد تكون وظيفته الإثبات أو النفي بالكل؛ أي يورد البيت والبيتين والقطعة و القصيدة وتكون هي المقصودة، وقد تكون بالجزء؛ فيورد البيتين والمراد بيت واحد، وتساق القصيدة و يراد منها بيت أو بيتين أو ثلاثة.

ـ باعتبار الذات: يقسم الشاهد باعتبار الذات إلى شاهد مطبوع، وآخر مصنوع، وآخر متكلف، والى شاهد رديف وهو الذي يجيء معطوفا على شاهد سابق[13]. كما يوجد "شاهد مستقل، وهو ما استقلّ عن غيره من الشواهد المختلفة، فلم يقم بينه وبينها علاقة مباشرة، بحيث يجوز الاقتصار عليه دون غيره في إثبات أو بيان حكم نقدي أو غيره مما سلف"[14]. و باعتبار الذات دائما نجد الشاهد المباشر والشاهد المؤازر أو الشاهد المعية، "فالمباشر ما جيء لإثبات، أو بيان حكم، أو ظاهرة أو مصطلح، والمؤازر أو الشاهد المعية ما كان القصد منه بيان لفظ أو معنى موجود في الشاهد قبله، فلا علاقة له بحكم ولا ظاهرة ولا مصطلح، إنه متداخل مع غيره من الشواهد الشعرية أو المنثورة المباشرة."[15]

3 – وظائف الشواهد:

من وظائف الشواهد "الاستفادة من النصوص اللغوية السابقة تساعد على تناقل الأفكار و تداولها من جيل إلى جيل ومن مكان إلى آخر."[16] كما تستعمل الشواهد في المعاجم لأداء عدة وظائف، منها:

"لإعطاء الدليل أن اللفظ موضوع البحث مستعمل في لغة العرب أو في لهجة من لهجات القبائل العربية على الرغم مما يبدو من غرابته للقارئ، فهو ليس من أوهام المعجمي أو وضعه، وإنما هو من لغة العرب أنفسهم"[17].

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في لسان العرب:

"شمهـد: الشَّمهد من الكلام: الخفيف، وقيل: الحديد.

قال الطـرماح يصف الكلاب:

شمهـــدُ أطـــراف أنيـابها كمناشيـــل طُـــهاةٍ اللِّـــحام

كلبــة شمهـد أي خفيفة حديـدة أطراف الأنياب."[18]

و تأتي الشواهد "لإعطاء الدليل على معنى اللفظ موضوع البحث أو على أحد معانيه، لأن معنى اللفظ – كما هو معلوم– قد يتغير حسب السياق الذي يرد فيه[19].

ومن الأمثلة على ذلك في معجم لسان العرب:

"والشاهد: اللسان من قولهم: لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة. و الشاهد: المَلَك؛ قال أعشى:

فـلا تحسبنّـي كـافـراً لـك نعمـةً على شاهِدِي، يـا شـاهـدَ اللهِ فـاشْهَـدِ

وقال أبو بكر في قولهم: ما لي فلان رواءٌ و لا شاهد: معناه ما له منظرٌ و لا لسان."[20]

ومن وظيفة الشواهد كذلك أنها "تعطي فكرة و صورة عن البيئة التي قيل فيها الشاهد، وتعكس حضارة الناطقين بها[21].

ويضيف الدكتور أحمد مطلوب لوظيفة الشواهد وظائف أخرى، مثل:

أ – "المتعة لما فيها من جمال وروعة وتصوير تنقل القارئ من عصر إلى عصر، ومن بيئةٍ إلى بيئة، ومن فنٍّ رائع إلى فنٍّ بديع.[22]

وبالنسبة للشواهد البلاغية فإن اهتمام البلاغيين المتأخرين باختصار و تلخيص الكتب المتقدمة، كان سببا في الإقلال من الشواهد و الأمثلة والاكتفاء بأقلها و أقصرها، وبما ينسجم مع أذواقهم التي سيطرت عليها الصنعة الكلامية و البديعية، وبذلك بقي تمثيلهم منحصرا في الجملة أو الجملتين ولم يتجاوزها إلى القطع الطويلة التي تكون وحدة فنية وتصور صورا كاملة لها معناها الواضح وتأثيرها العظيم."[23]

ب – الانتفاع بما فيها من ألفاظ و تراكيبَ و صورٍ و معانٍ اختارها علماء البلاغة من الشعر: قديمه وحديثه.

ج – الاستعانة بها في التأليف و التدريس."[24]

"وفي المعجمات الثنائية اللغة، نرى أن بإمكان الشواهد أن تؤدي وظيفة هامَّة أخرى. إذ من الممكن اختيارها بشكل يهدف إلى ‘عطاء القارئ فكرة عن حضارة الناطقين باللغة الأجنبية التي يتناولها المعجم إن باستطاعتنا بسط الحضارة الأجنبية في المعجم، إلى حدٍّ كبير، عن طريق الشواهد والاقتباسات."[25]

أما بالنسبة للمعجم التاريخي، فإن الشواهد تحتل مكانة أساسية، فهي" قلب المعجم التاريخي...وجميع مكوّنات مداخل المعجم تصدر عن الشواهد وترتكز عليها. فمن الشواهد نختار كلمات المداخل الرئيسة في المعجم التاريخي، ومن الشواهد نختـــار كلمات المداخل الفرعيّة، ومن سياقات الشواهد نفهم معاني الألفاظ ونصوغ تعريفاتها، ومن العصور التي تنتمي إليها الشواهد نستدل على تطور اللغة عامّة أو تطور المصطلحات و المفاهيم خاصّة."[26]

4 – مسلك المعجميين والنحاة و البلاغيين في اختيار الشواهد:

الشاهد عنصر مهم من العناصر التي يبنى عليها المعجم، لذلك جُمعت شواهد اللغة الشعرية منها خاصة عن طريق الرواية، وسلك الكثير من المعجميين مسلك النحاة حيث ضربوا سياجا زمانياً و مكانياً وقَبَلِياً حول ما يُعدُّ فصيحا من كلام العرب، أُقفلت بموجبه عُصور الاحتجاج وذلك بانتهاء عصر الرّواية، مع أن الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يعتمد على القديم وحده في جمع اللغة، بل نقل عن معاصريه وسمع من الأعراب، ونقل حتى لغات الأمصار، وسجّل في معجمه ما استجدَّ في لغات الأمصار، فهو "يذكر على – سبيل المثال لا الحصر – "نوى العَقوق"؛ "وهو نوًى هشٌّ ليّنٌ رخو المضغة... من كلام البصرة، ولا تعرفه الأعراب في بواديها". كما أنه يذكر ما استحدثه أهل البصرة في القتال ؛ فمن ذلك " الحرّاقات"، وهي "سفنٌ فيها مرامي نيران يُرمى بها العدوّ في البحر بالبصرة"[27]، فلذلك يعتبر معجم ((العين)) صورة صادقة عن لغة عصره، لأنه اعتمد على مدونة حيَّة استقاها الخليل من القديم والجديد، لكن المعجمين بعد الخليل كما النحويين بعد سيبويه أقفلوا الباب أما عصرهم وأداروا ظهورهم لكل جديد مما أدى إلى إغفال ثروة كبيرة من مفردات اللغة واستعمالاتها، فلا "يوجد في المعجم العربي سوى غيض من فيض، يتمثّل في ما كانت ولادته قبل منتصف القرن الثاني للهجرة. ومن يبحث في بطون المعاجم، يحسب أن

العرب ظلوا في القرن الثاني للهجرة لم يتجاوزوه؛ لأن الجديد عندهم لم يجد إلى المعجم طريقا له، فهو غير فصيح...في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وفي عام 1881 تحديدا؛ نشر المستشرق الهولندي رينهارت دوزي معجما سماه: supplément aux dictionnaires arabes ، أي المستدرك على المعاجم العربية، وهو كائن في أكثر من ألفٍ وسبع مئة صفحةٍ من القطع الكبير "[28]، وهو كم هائل من مفردات اللغة يستدركه مستشرق على المعاجم العربية !!

وقد اختلف الأمر في توظيف الشواهد في ميدان البلاغة و النقد عنه في مجال النحو؛ فالبلاغيون لا تهمهم كثيرا الشروط التي وضعها النحاة واللغويون للشواهد، كما أنهم يميلون إلى عدم الاكتراث بالفروق بين الشاهد والمثال. يقول البغدادي: "علوم الأدب ستةٌ: اللغة والصّرف، والنّحو، والمعاني والبيان والبديع؛ والثلاثة الأُوَل لا يستشهدُ عليها إلاّ بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة. فإنه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين، لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، فهو أمرٌ راجعٌ إلى العقل، ولذلك قُبل من أهل هذا الفنّ الاستشهاد بكلام البحتري، وأبي تمّام، وأبي الطيّب، وهلُّم جرّا"[29]، ذلك أنّ البلاغيين يستشهدون بشواهد ما بعد عصر الاحتجاج، لأن الهدف من الاستشهاد يختلف عند البلاغيين عنه عند النحويين؛ فالاستشهاد عند البلاغيين لا يكون لإثبات قاعدة أو نظرية، "إنه تعليلات ومبررات معنوية تجيء في سياق الاحتجاج والبرهنة على موقف أو حالة أو معنى من معاني أغراض الشعر لتعزيزها وبيان المقصد من تبينها واعتمادها"[30]، أي أن الغرض من إيراد الشاهد هو ملاحظة الكلمة أو الظاهرة داخل السياق.

واتبع المعجميون العرب القدماء ثلاثة طرق لجمع شواهدهم المعجمية وهي:

أ – الطريقة الأولى تمثلت في الإحصاء العقلي الذي قام به الخليل بن أحمد في معجمه ((العين))، واستطاع من خلاله جمع مادة اللغة من خلال الإحصاء الرياضي.

ب – طريق المشافهة الذي قام به الأزهري في معجمه ((تهذيب اللغة))، واستطاع من خلاله القيام بجمع ميداني لمادة كثيرة سجلها في معجمه.

ج – طريق جمع مادة المعجم من معاجم السابقين، وهو الطريق الذي ظل سائدا حتى العصر الحديث[31].

وفي عصرنا الحديث دعا المعجميون العرب إلى ضرورة تجاوز عصور الاحتجاج، والاستفادة من الثروة اللغوية العربية في كل العصور، بحيث يتم جمع مادة المعجم من خلال المصادر الآتية:

أ – المصادر الأولية أو الأساسية، وتشمل جميع المادة الحية المأخوذة من نصوص واقعية.

ب – المصادر الثانوية، وتشمل المعاجم السابقة.

ج – المصادر الرافدة، وتشمل مجموعة من المراجع اللازمة للتوثيق وتحديد العبارات المسكوكة و المصطلحات السياقية واستكمال الثغرات[32]. ودعوا كذلك إلى" إيجاز الشواهد واختصارها حتى لا تخرج تلك الشواهد عن غايتها الرئيسية وهي توضيح المعاني الدلالية، وإثبات الوضع اللغوي."[33]

5 – لماذا الشاهد الشعري أكثر من غيره:

إن ما يلاحظ على كتب اللغة والمعاجم كثرة الشواهد الشعرية حتى صارت ظاهرة واضحة في كتبهم، "باستثناء ((ابن مالك)) الذي اعتمد على الحديث و((أبي حيان النحوي)) الذي اهتم بإيراد الكثير عن لغات القبائل في كتابه ((ارتشاف الضرب من كلام العرب))، و((ابن هشام)) الذي وجه عناية خاصة لنصوص القرآن"[34].

ولعل ولوع الرواد بالشاهد الشعري أكثر من غيره يعود إلى أن نشأة الثقافة العربية كانت في تربة البيان، أو النص(الشعري خصوصا)، وحفظ الشعر أسهل من حفظ النثر، "لأن إيقاعاته تساعد على ذلك، وحضوره الدائم بذلك في ذاكرة الأئمة أصحاب الدراسات اللغوية التي جاءت بالضوابط اللغوية في شتى المستويات، كما أن رواية الشعر أحرى أن تكون أضبط؛ لأن الضبط يمثل عنصرا من عناصر إيقاعه"[35] ، لذلك لجأ كثير من العلماء إلى نظم علومهم على شكل قصائد شعرية ليسهل

حفظها كألفية بن مالك في النحو. لذلك قال ابن رشيق: "كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة، ألا ترى أن الدر – وهو أخو اللفظ ونسيبه، وإليه يقاس، وبه يُشبَّه– إذا كان منثوراً لم يؤمن عليه، ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب؛ وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً، فإذا نظم كان أصْوَنَ له من الابتذال، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع، وتدحرج عن الطباع، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمله...وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر، وأقل جيداً محفوظاً، وأن الشعر أقل، و أكثر جيداً محفوظا؛ لأن في أدناه من زينة الوزن و القافية ما يقارب به جيد المنثور."[36]

زيادة على ذلك مكانة الشعر عند العرب، فهو كما قال ابن قتيبة هو " مَعْدِن علم العرب، وسِفْر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسُّور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النِّفَار، والحجَّة القاطعة عند الخِصام".[37]

و قد استخدم الشاهد الشعري لشرح غريب القرآن الكريم، و موضوع"الاحتجاج بالشعر في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم موضوع جليل عظيم الأهمية والفائدة في الوقوف على معاني ألفاظ القرآن عند العرب في شعرها قبل أن ينزَّل القرآن على سيد الأنبياء و المرسلين محمد عليه السلام وحين نزوله وبُعَيْده."[38] 38 – **مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس، ص 8.**

وقد كان الاحتجاج بالشعر من أبكر صور الدراسات اللغوية والمعجمية، وقد عدّ المفسرون أول من اتخذ من الشعر شواهدَ لفهم غريب القرآن حبر الأمة عبد الله بن عباس(رضي الله عنه)، وذلك في رده على أسئلة نافع بن الأزرق الخارجي؛ فقد روي أن نافع بن الأزرق مع جماعة من الخوارج تحدوا عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) في شرحه لغريب القرآن، فيما يسمى بـ ((مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس))، ومن أمثلة ما جاء فيه: قول نافع بن الأزرق لابن عباس:

1 ـ قال: أخبرني عن قول الله عز وجل: (يُرْسِلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَ نُحَاسٌ) (الرحمن:35) ما الشُواظٌ ؟

قال: هو اللهب الذي لا دخان له.

قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك من قبل أن ينزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال: [نعم]، أما سمعت قول أمية بن خلف، وهو يهجو حسان بن ثابت، وهو يقول:

ألا من مُبْـــلِغٌ حسَّـــان عَـــنِّي	مُغَـــلغَـــلةً تَـدِبُّ إلى عُكَـــاظِ
أليسَ أبُـوكَ فِينَـــا كان قَيْنـــا	لَدَى القَيْنَاتِ فَسْلاً في الحفَـــاظِ
يمـــــانِّيً يَظَـــــلُّ يَشُبُّ كِيـراً	ويَنْفَـــحُ دَائبـــا لَهَبَ الشُّواظِ

قال: صدقت.

2 ـ فأخبرني عن قول الله عز وجل: (ونُحَاسُ فَلَا تَنتَصِرَانِ) (الرحمن: 35) ما النحاس؟

قال: هو الدخان الذي لا لهب فيه.

قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت قول النابغة:

يضِـــيء كَضَـوْءِ سِراجِ السَّليـــ	ـطِ لمْ يَجْعَـلِ اللهُ فيـهِ نُحَـــاسَا

يعني دخاناً. قال: صدقت[39].

ومعلوم أن اللغويين قد اشترطوا صفة البداوة في قائل الشاهد، "نقل ثعلب عن الأصمعي قال: خُتِمَ الشعر بإبراهيم بن هَرْمَةَ، وهو آخر الحجج."[40]

كما اشترطوا في من يستشهد بشعره أن يكون متقدما في العصر، قال ابن قتيبة: " فإني رأيتُ من علمائنا من يستجيدُ الشعر السخيف لتقدُّم قائله، ويضعُهُ في متَخَيَّرِه، ويُرذلُ الشعر الرصينَ، ولا عيبَ له عنده إلاّ أنّه قيلَ في زمانه، أو أنَّه رأى قائله."[41]

ومع أن ابن قتيبة لم يجانب الصواب في قوله، إلاّ القارئ ربما فضّل القديم على الحديث؛ "وذلك لأن القديم تناقله الكتّاب كثيراً، ومرَّ عليه عدة مرات، فنشأت بينه و بينه ألفة. أضف إلى ذلك أن الشاعر أو الأديب، بشكل عامّ، تثْبُت جودته وتتمكن أصالته بعد مرور الأيام وكرّ الليالي وبعد أن تكون علاقاته العامة أثناء حياته وما يرافقها من إعلام وإعلان وإشهار قد اختفت، فأصبح يُقرأ لقيمة أدبه الحقيقية لا لمنزلته الاجتماعية أو مكانته السياسية."[42]

نستخلص من هذا البحث أن للشواهد الأهمية البالغة في الدرس اللغوي؛ فالحمولة الثقافية و المعرفية للشاهد تعكس مدلولات لمستويات مختلفة لثقافة الأمة. والتعامل مع الشاهد يختلف باختلاف المجال الذي يوظف فيه؛ فالشاهد النحوي غير الشاهد البلاغي، والشاهد المعجمي غير الشاهد النحوي. واختلاف نوع الشاهد يرجع بالأساس إلى الهدف الذي يتوخاه المستعمل من توظيفه، فهو الذي يحدد نوع الشاهد.

وبسبب مكانة الشعر في نفوس العرب، كان استعمال الشاهد الشعري أكثر من غيره، وكانت استفادة المفسرين من الشواهد الشعرية واضحة من خلال تفسير سيدنا عبد الله بن عباس لكتاب الله.

ولا تقتصر وظيفة الشاهد على التدليل على وجود لفظة في لغة العرب، أو شرحها، بل تتعداها إلى وظيفتين؛ وظيفة إمتاعية؛ بحيث تحقق للقارئ المتعة الفنية إلى الجانب الوظيفة النفعية وهي الانتفاع بها في التدريس.

هوامش البحث:

1 – الاستشهاد والاحتجاج باللغة – رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث– محمد عيد، ، ص116.

2 – بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، جلال الدين السيوطي، ص 123.

3 – معجم شواهد البلاغة الشعرية، أحمد مطلوب، ص6،7.

4 – معجم شواهد البلاغة الشعرية، ص10.

5 ـ الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، ص383

6 – علم المصطلح، علي القاسمي، ص 715، و لسان العرب، مج3، مادة (شهد)، ص 240.

7 ـ في بلاغة الخطاب الاقنـاعي، محمد العمري، ص 90.

8 – علم اللغة وصناعة المعجم، ص 139.

9 – المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص 41.

10 – المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ، ص 41.

11 – "مصطلحا الشاهد والاستشهاد (المفهوم، والأنواع، والوظائف)، ص90.

12 – "الشاهد اللغوي"، يحي عبد الرؤوف جبر، مجلة النجاح، ص 265

13 – ينظر "مصطلحا الشاهد والاستشهاد (المفهوم، والأنواع، والوظائف)"، ص 94

14 – "مصطلحا الشاهد والاستشهاد (المفهوم، والأنواع، والوظائف)، ص 96.

15 – "مصطلحا الشاهد والاستشهاد (المفهوم، والأنواع، والوظائف)، ص 96.

16 – معجم الاستشهادات، علي القاسمي، ص22.

17 – معجم الاستشهادات، علي القاسمي، ص 19

18 – لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص238.

19 – معجم الاستشهادات، علي القاسمي، ص 19

20 – لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص243.

21 – ينظر علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص140، 141.

22 – معجم شواهد البلاغة الشعرية، أحمد مطلوب، ص 9.

23 – دراسات بلاغية ونقدية، أحمد مطلوب، دط، منشورات وزارة الثقافة و الاعـلام ـ الجمهورية العراقية، دت، ص17

24 – معجم شواهد البلاغة الشعرية، أحمد مطلوب، ص 9.

25 – علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص143.

26 – علم المصطلح، علي القاسمي، ص706.

27 – " المعجم العربي وهوية الأمة"، حسن حمزة، ص 66 .

28 – " المعجم العربي وهوية الأمة"، حسن حمزة، ، ص 70.

29 – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ص 5.

31 – ينظر صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص 75، 76.

30 – "مصطلحا الشاهد والاستشهاد (المفهوم، والأنواع، والوظائف)"، الصالحي عبد الرزاق، ص 91.

32 – ينظر صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص 76.

33 – الشواهد القرآنية والشعرية في أساس البلاغة للزمخشري، حسين بن علي بن مسعود الفارسي، ط1، دروب للنشر و التوزيع، 2011م، ص24

34 – الاستشهاد والاحتجاج باللغة – رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث– محمد عيد، ص115.

35 – الاحتجاج بالشعر في اللغة، محمد حسن حسن جبل، ص 52.

36 – العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، ج1، 1401هـ، 1981م، ص19، 20.

37 – عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، مج2، دط، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، دت، ص 185.

39 – مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس ص36، 37.

40 – الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، قدم له وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهوّاري، ط1، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1432هـ 2011م، ص 56.

41 – الشعر و الشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، دط، دار الحديث القاهرة، دت، ص 64.

42 – معجم الاستشهادات، ص 28.

مصادر البحث و مراجعه:

1) الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، محمد حسن حسن جبل، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
2) الاستشهاد والاحتجاج باللغة –رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث– ، محمد عيد، عالم الكتب، 1988م.
3) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشكاه، ج1، 1384هـ – 1964م.
4) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1418هـ – 1997م.
5) دراسات بلاغية ونقدية، أحمد مطلوب، دط، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام ـ الجمهورية العراقية، دت.
6) العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، ج1، 1401هـ، 1981م.
7) علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ط3، مكتبة لبنان ناشرون، 2004م.
8) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 2008م.
9) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، مج2، دط، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، دت.
10) الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1434هـ – 2013م.
11) في بلاغة الخطاب الاقناعي، محمد العمري، (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا)، ط2، إفريقيا الشرق، 2002م.
12) معجم الاستشهادات، علي القاسمي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 2001م.
13) معجم شواهد البلاغة الشعرية، أحمد مطلوب، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 2012م.
14) المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 2003م.
15) مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس، حققها وعلّق عليها ووضع فهارسها محمد أحمد الدالي، ط1، الجفّان والجابي للطباعة والنشر، 1413هـ ـ 1993م.
16) لسان العرب، ابن منظور، دط، دار صادر بيروت – لبنان، دت.
17) "الشاهد اللغوي"، يحي عبد الرؤوف جبر، مجلة النجاح، المجلد الثاني، العدد السادس، 1992م.
18) الشعر و الشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، دط، دار الحديث القاهرة، دت.
19) الشواهد القرآنية والشعرية في أساس البلاغة للزمخشري، حسين بن علي بن مسعود الفارسي، ط1، دروب للنشر و التوزيع، 2011م.
20) "مصطلحا الشاهد والاستشهاد (المفهوم، والأنواع، والوظائف)"، الصالحي عبد الرزاق، مجلة دراسات مصطلحية، العدد السادس، 1427هـ – 2006م.
21) "المعجم العربي وهوية الأمة"، حسن حمزة، مجلـــة تبيُّـن، عدد 1، صيف 2012م.
22) الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، قدم له صلاح الدين الهوّاري، ط1، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1432هـ 2011م.